في بعض مدارس بابل

تلاميذ يفترشون الأرض تحت سقوف آيلة للسقوط

"يعاني اطفال العراق نقصا شديدا في مستلزمات حياتهم الخاصة سواء كانت في المدارس او خارجها ولكن الاخطر ما يحدث داخل المؤسسات التعليمية من اهمال ونقص شديدين فيما يعد ضروريا للتلميذ."

بابل / محيي المسعودي

وعلينا ان نتخيل صفوفا ابتدائية ضيقة (اول ثاني ثالث..) وقد انحشر فيها من ٨٠ الى ٩٠ تلميذاً يتعلمون الابجدية قراءة وكتابة وهم يفترشون الارض ولم يتعرفوا بعد على المقاعد المدرسية ولا يعي بعضهم خطورة البناء الآيل للسقوط الذي تظللهم سقوفه اما الماء والكهرباء فهما الاكثر غيابا عن الطالب الصغير.

وفي ظل منع التربية وسائل الاعلام من الدخول الى المؤسسات التعليمية الا بعد اذن مسبق وقد لا يحصل عليه الاعلامي ومنع المعلمين والمديرين من التصريح الصحفي حيث احجم كل المديرين والمعلمين عن التصريح باسمائهم عند الحديث عن المشاكل الدراسية خوفا من عقوبة قد تذهب براتبه (مع الريح.....) ويقول مدير احدى المدارس:منذ سقوط النظام السابق ونحن نطالب بتوسيع المدرسة وتوفير مقاعد للطلاب ولكننا لم نجد من يسمعنا، ولما تعددت وتراكمت طلباتنا دون جدوى حملناها وتوجهنا الى رئيس مجلس محافظة بابل الذي بذل جهودا كبيرة ومضنية في سبيل حصولنا على القليل من حاجتنا من المقاعد المدرسية ويضيف مدير مدرسة اخرى قائلا:انني اتلمس يوميا لدى المسؤولين وبعض المعلمين عدم الاهتمام بالمسؤوليات المهنية والاخلاقية والوطنية ولا ينظر البعض الا الى الراتب الذي يتقاضاه والكرسي الذي يحتله.

وفي حديث لمجموعة من المعلمين يذكر بعضهم النقص الكبير للكوادر في محافظات العراق الوسطى والجنوبية وخاصة في المناطق الساخنة اضافة لعدم وجود الابنية الكافية اوالمناسبة ويقول احد المديرين: المدارس كلها تعاني مشاكل كبيرة وكثيرة يدفع ثمنها الطالب وتشارك الكثير من المعلمات مع زملائهن المعلمين فيها اذ يثقلن الملاك التعليمي ولا يمارسن التعليم الفعلي حقا لاسباب كثيرة منها عدم تقديمهن طلب اجازات امومة كي لا تتاثر رواتبهن لذالك اما ان تحضرالمعلمة ولا تعلم او تاخد اجازات قصيرة لانها فعلا لاتستطيع ممارسة عملها وبعضهن يعتمدن الواسطة كزملائهن في دخول حالة البطالة المقنعة مما يترك خللا وفراغا كبيرين في سير عملية التعليم وانتظامها.. ويضيف احد المعلمين قائلا:زار احد مشرفي التربية مدرستنا ولما وجد تقصيرا واهمالا من احدى المعلمات انبها وهددها بالنقل اذا ما عادت الى ما وجدها عليه ولكنها ردت عليه بقوة وقالت له لن تستطيع معاقبتي وهمزت بالقول –انا مسنودة- ب..؟- أي عندي واسطة واضاف المعلم نفسه يقول: ما اكثر –المسنودات-في المدارس وكل هذا على حساب الطفل (التلميذ) وفي استطلاع لرأي ذوي التلاميذ يقول احدهم ابناؤنا وصلوا الصف الخامس والسادس وهم لايعرفون الا القليل من القراءة والكتابة واشار بعضهم الى اهمال المعلمين ابناءهم وعدم متابعتهم لرفع مستواهم التعليمي وتحريضهم على الدراسة وتشجيع مواهبهم.

ومع تزايد عدد التلاميذ ضاقت المدارس بهم بينما يتعطل انشاء المدارس الجديدة بسبب اهمال المعنيين والفساد والروتين الاداري وهناك مدارس تعاني الى جانب الاكتظاظ الشديد تردي البنايات التي ينذر بعضها بالانهيار على رؤوس التلاميذ كما في مدرسة (الأمام علي) الكائنة في ناحية الكفل / بابل والتي حولها الواقع الاجتماعي والاداري الى سجن ايل للسقوط. اذ اغلقت شبابيكها بالطابوق وحال الذين يملكون الارض المحيطة بها دون توسيعها وترميمها والى جانب هذا نجد حال التعليم مترديا ويعاني الطفل العراقي بشكل عام الحرمان في ميادين اخرى متعددة فهو محروم من دروس التربية العامة (نفسية –اجتماعية- تربوية) التي يحتاجها اكثر من غيرها هذه الايام اضافة الى غياب تنمية قدراته ومواهبه العلمية والفنية والثقافية، ذلك لانعدام وسائل هذه التنميات، من المراكز المتخصصة والفعاليات والانشطة التي تستهدف الطفل وترفع مستواه في الميادين كافة والى جانب هذا نجد حرمان الطفل من حقه باللعب وممارسة الرياضة وسواها من رغبات. يضاف الى ذلك انقطاع الطفل عن حركة التطور العلمي والثورة المعلوماتية الحاصلة في عالمنا المعاصر هذه الايام... فلا وجود لأجهزة الحاسوب وخدمات الأنترنيت في جميع المدارس.

ليس هذا كل شيء بل هناك نقص وانتهاك لحقوق الطفل يصعب حصرها وعلى سبيل المثال حريته في التعبير عن رأيه كما جاء في اتفاقية حقوق الطفل وممارسة هواياته مما يمثل قمعا لهذه الذات الصغيرة التي تمثل المستقبل كله، فلا مستقبل مشرق لأي امة او شعب دون ان يتم اعداد الطفل وتعليمه بشكل صحيح وسليم.

وبينما ينعم اطفال العالم بالامان ومقتنيات العصر والعابه يعيش اطفال العراق رعبا وارهابا واهمالا وسلبا لكل الحقوق التي منحها لهم العالم باتفاقيات دولية وقع عليها العراق، بينما يمارس الاطفال في دول العالم الاخرى دورهم الطبيعي يغيب عنهم دور الطفل العراقي مع غياب حقوقه.

ان هذا الواقع الكارثي الذي يعيشه الاطفال العراقيون انما يعني القضاء على هذا البلد وشعبه وثقافاته ويحوله الى غابة للصراع الوحشي وبؤرة للتخلف والجهل ومن هنا يناشد العراقيون وخاصة في محافظة بابل منظمات حقوق الانسان العالمية وخاصة المعنية بالطفولة كاليونسيف للتدخل في ايقاف هذا التدمير الشامل لكينونة الطفل العراقي والعمل على استعادته حقوقه من اجل اعداده وتأهيله لمستقبل يشارك فيه اخوانه من الشعوب الاخرى في بناء عالمنا الجديد وحضارتنا المعاصرة بعيدا عن التمييز العنصري والديني.

كتابة على الحيطان

(فوبيا) الجديد

عامر القيسي

برغم مرور اكثر من اربع سنوات على سقوط الدكتاتورية الا اننا كجمهور مازلنا ننظر الى اي تغيير جديد بعين الريبة والشك ويمكن اعتبار هذه السيكولوجية جزءاً من البناء الفكري الاجتماعي الذي اتخم جيلين بالتمام والكمال بحيث يبدو اي تغيير، مهما كان بسيطاً ومتواضعا،

كما لو انه موجه ضد فئة ما او ضد مصلحة المواطن!

فاذا استبدل وزير بآخر فهذا يعني ان العملية السياسية انهارت او في طريقها الى الانهيار واصبحت اكذوبة امريكية.

واذا تحالفت قوى سياسية ونشأ عنها تنظيم جديد فهذا يعني خيانة مابعدها خيانة للوطن والشعب معا، ويتهم هذا الحراك بان أصابع من الخارج تقف وراءه وهي من هيأته ودعمته ومولته .

واذا اصدرت وزارة ما تعليمات بغلق دائرة تابعة لها او قسم صغير فيها لاعتبارات تخص برامج الوزارة فهذا يعني اضافة عاطلين جدد الى جيش العاطلين اساسا وما يتبع هذه السلسلة من اتهامات واستنتاجات مميتة

واذا وقع العراق مذكرة تفاهم غير ملزمة لاحد فان العراق يصبح محمية لتلك الدولة ويفقد سيادته تماما ويختفي من الجغرافيا لتظهر بدلا منه القواعد العسكرية

واذا اقترح وزير، كالتجارة مثلا، معالجة قضية البطاقة التموينية بطريقة ما دون اي اضرار او المساس بمصلحة المواطن، فهذا يعني وبسرعة حدوث مجاعة في العراق لها بداية وليس لها نهاية وستصيب الاغنياء قبل الفقراء!

وغير هذه الامثلة الكثير الكثير على مر الاربع سنوات التي مضت — الغريب في الامر، ان كل الانتقادات التي توجه الى اي تغيير تنطلق بسرعة البرق من الحناجر والاقلام والفضائيات دون تمحيص او دراسة او طرح بدائل، هكذا تتم عملية الرفض بعقلية الخوف والارتياب من دون اسباب موضوعية وبرغم ان بعض هذا الرفض ينطلق من ارضية سياسية تضغط هموم الناس باعتراض جديد فقط لأسباب لاعلاقة لها بالقرار بقدر مالها علاقة بالكسب السياسي.

ان منطق الوضع العراقي الجديد ينطوي على سلة ومساحة كبيرة للافكار والمقترحات والقوانين والتعديلات والاجتهادات من جميع القوى السياسية الفاعلة،ومن هذا المنطلق ينبغي ان نؤسس لعقلية حوارية حضارية تطرح نفسها على الاخرين وتتقبلهم في الوقت نفسه، لان الرفض بعقلية(المحاصرة) لن ينفع سوى اعداء العراق ومن ثم الاضرار بالمواطن نفسه!

اننا بكل بساطة نحتاج الى تغيير كبير وسريع وجوهري في كل مناحي تفكيرنا وقوانيننا واسلوب عملنا وآلية انتاج افكارنا ووجها ت نظرنا وبغير ذلك فان قطارنا العراقي سيجد السلحفاة امامه دائما وسنجد انفسنا اسرى فوبيا الجديد والشيء الوحيد الذي سنحصل عليه من كل اشكال الرفض السلبي لاي تغيير قبضة من الهواء لن تفيد من يرفض لكنها تعرقل مسيرة بلد يراد له ان يبنى على اسس جديدة.

مبنى أمن السليمانية يتحول إلى متحف

السجن الأحمر ووردة اخلاص

"كانت خطواتي ثقيلة ، حينما هممت بالدخول الى سجن الامن العام في السليمانية ، والذي يسمى "سجن سوره كه " اي " السجن الاحمر " الذي يقبع في منطقة شورش. السجن عبارة عن قلعة مثقبة جدرانها بطلقات مختلف الاسلحة الخفيفة والمتوسطة وشعرت بأنني اختنق ، او هناك من يقودني اليه عنوة شعرت بأن هناك من يدفع بي ، ويركلني على مؤخرتي ، ويصفعني على قفاي ، وهو يقول : ادخل ياكلب يابن الزانية ، وانا اتوسل بان لاادخل ، لانني لم افعل شيئا واسمعه يقول: ادخل وبعدين تعرف!"

السليمانية / محمد درويش علي

المدخل الرئيس لسجن امن السليمانية سابقاً

شعرت بكل هذه الاحاسيس الصحفية الاردنية (اخلاص القاضي) وهي تسير بجنبي بطولها الفارع، وجمالها الاسطوري، وقالت: انت خائف؟ اجبتها: جدا، علت شفتيها ابتسامة، اشبه بحركة تسبق البكاء بقينا نرنو الى الواجهة وعرفت من يدخل فيها، في تلك الايام لا يخرج، حتى ولو كان الذئب الذي اتهم بأكل يوسف، وهو لا يعرف شيئا عن يوسف ولا عن مكيدة اخوته. وظللت احصي في داخلي عدد الضحايا الذين دخلوا الى هذا المكان، وماتوا تحت ضربات احذية اصحاب الزيتوني، وصفعاتهم، وكيبلاتهم. تذكرت وتذكرت الكثير من القصص التي من شدة وطأتها باتت تحفظ على ظهر قلب. صبرية اقتادوها عنوة من قرية بكرة جو قرب كلار، اقتادوها مع والدة زوجها، بعد سنوات عادت والدة زوجها، مثقلة بهموم الشيخوخة، وبغياب كنتها التي سيقت الى مكان لاتعلم اين يكون!وبقيت تردد حتى اخر يوم من عمرها صبرية وهي تبكي، حتى اغمى عليها ذات مرة ولم تصحو بعدها والى الابد، مودعة حياة يسودها الزيتوني!

لا ادري لماذا جاءت على بالي تلك الصبية الفاتنة بقامتها الممشوقة وبياضها الذي مثل الثلج، حينما زرت بيت احد اصدقائي في قضاء خانقين وقدمت لنا الشاي. سألت صديقي من هذه الجميلة؟

اجاب: انها كلزار، وبقيت وحيدة بعد ان مات اهلها في حلبجة، وهي الان لا احد لها، وانا اتكفلها، متحملا ماتقوم به الحكومة.

انحنيت جانبا وانا اكفكف دموعا غالبتني واحرجت رجولتي امام امرأة غاية في الانوثة والجمال. قلت: تعالي يا اخلاص، لنر ماذا هناك!

دخلنا معا غرفة مدير السجن، جفلت حينما رأيت طيورا ترفرف في وكنات بسيطة. طيور بيض تحلق في سماء المدير وفي ارضه. المرافق قاطعني قبل ان اساله: ملانا هذه الغرفة بالطيور للدلالة على السلام والمحبة، بدلا من القتل والتعذيب.

فرميسك تولد في سجن النساء

لم تكن الغرفة تسع هذا العدد من النساء الذي وصل الى السبعين،سبعون امراة في غرفة صغيرة، لاتكفي غير عدد قليل ولكنهن تزاحمن في هذه الغرفة، وبات لكل واحدة منهن متكأ بانتظار موت يأتي في اول الصباح، او بعد منتصف الليل او الظهيرة، سبعون امرأة منهن من تبكي منهن من يذهب بها الى التعذيب، منهن من هي صامتة وهكذا،نوم كسيف اشبه بيقظة غير سعيدة يقظة من يقضي نحبه بعد قليل. كم هو مؤلم دخول احد رجال الامن، ومناداة احداهن الى غرفة رائد حسون ليتولى امر تعذيبها بيديه السوداوين، لتعود بعدها قطعة من انين، مرتمية على اي مكان، وتأخذ غيرها الدور وهكذاحتى يكتمل العدد.

رائد حسون قاس فظ الطباع، لايفرق بين امرأة ورجل المهم هو ان يعذب،ان يضرب بتلك العصا الغليظة،او يكهرب الجسم بفولتية يعرف وحده مقدارها، ويأخذ معلومات حتى ان كانت غير صحيحة. حكوا عن هذا البشر الذي اسمه حسون، حكايات غريبة عن كيفية قيامه بالتعذيب، منها انه كان يربط المتهم بحبل على احدى (بايات) الدرج ويتركه من العصر حتى الفجر وفي كل مرة يوقظه احد رجالها بصفعة على وجهه، لئلا يأخذ منه النوم مأخذه، وحينما يصل اليه، يمارس ضغوطه النفسية والجسدية عليه ليقول مايريد حسون هذا. وكان يسمع النساء صرخات الرجال وهم يتعرضون للضرب، لتسهل عليه مهمة انتزاع الاعتراف منهن اشياء كثيرة كان يقوم بها، كان ياكل مادة دسمة امام سجين جائع، جاءوا به بلا ذنب.

ذات ليلة كانت بين المعتقلات امرأة حامل،نجا حملها من الاسقاط برغم الضرب والتعذيب فجاءها الطلق وظلت تصرخ وبقي الحراس يضحكون تماشيا " مع ما يريد سيدهم حسون " وازداد صراخها، وطلب الجميع ان يذهبوا بها الى المستشفى، ولكن من دون جدوى. فما كان من النساء معها، الا ان شمرن عن سواعدهن التي تقطر دماء وقمن بالواجب تجاه زميلتهن، وهن يقرأن ايات القران والادعية كي تنجو هذه المرأة الحامل، التي باتت حياتها اشبه بالمستحيل. وحصل مالم يكن بالحسبان، وانجبت المرأة فتاة،ملأ صراخها قاعة السجن بعد ان هدأ صراخ امها، فاسمتها احدى السجينات (فرميسك اي دموع) وكانت فرميسك اصغر شاهدة على جرائم بحق اناس،لم يطلبوا غير العيش الامن. سألنا: اين هي الان فرميسك؟

قالوا: هي الان فتاة ناضجة،بملامح جميلة!

قلت لاخلاص هل سمعت بقصة كهذه؟ قالت مؤلمة،ولايصدقها العقل. قاعة اخرى تحولت الى غرف وفي كل غرفة معرض للصور،ضحايا ابرياء ابطال يقاتلون في الشوارع،امام كل صورة كنت اقف متأملا فيها متذكرا تلك السنوات العجاف، واستوقفتني صورة طفل مبتور الساق، كانت براءة الكون في وجهه وهو يرنو لعدسة الكاميرا وصورة لنزوح جماعي بعد اجتياح الجيش للسليمانية، ذكرتني الصورة بصور الافلام التي كان فيها نزوح جماعي باتجاه ارض اخرى بحثا عن حياة جديدة وصورة لرجل يحمل بندقية وهو يرمي باتجاه اصحاب الزيتوني وكأنه اسد خرج من عرينه، ماكان يدعم هذه الصورة هو تلك المجاميع السكانية المختبئة وراء جدار لا ادري لماذا كنت انجر لزميلتي اخلاص واسالها:اترين ماذا فعلوا؟

كانت تتألم بصمت وهي ترنو صوب الصور. قلت لها: هذا البطل الاسطوري الذي يتقدم صوب اعداء الانسانية اين هو الان وهل جنى شيئا من هذا التغيير؟كان يهمني ان اعرف اين هو الان، وماذا يعمل، وكيف يقضي ايامه! كانت هناك صور، وصور والغريب في هذه الصور هو وجود الحبل الذي كان يشنق به الناس في (ابو غريب) الحبل لم يكن صورة، بل كان الحبل ذاته موضوعاً في اطار مستطيل مزجج. بصفتي مواطنا عراقيا اعرف ان هذا السجن كان يوجد مثله في الجنوب يوضع فيه ابطال الهور، وفي الغرب، وفي بغداد كانت هناك سجون اقسى، توزع موتها وتعذيبها بالتساوي على العراقيين. وانا في هذه القاعة تذكرت حادثة لا استطيع نسيانها حصلت قرب الجامع الكبير (مزكوتي كورا) في السليمانية، اذ كانت تقف سيارة بيك اب، مزودة بكل الاسلحة ومعبأة برجال الزيتوني. مر كردي تبدو عليه امارات القرية، اوقفه احدهم قائلا: هويتك كاكه! وقبل ان يمد يده في جيبه، صفعه صفعة قوية اختل توازن القروي من جرائها واعاد عليه الكرة من جديد، وبشتائم لم يفقه منها ذلك الكردي شيئا. التم عليه اصحاب الزيتوني، وقبل ان يسألوا عن ذنبه، انهالوا عليه بالصفعات من الامام والخلف. اخرجوا هويته بالقوة فاتضح لهم انه لا يعمل في اي حزب او جهة، ارجعوا اليه الهوية قبل ان يضربه احدهم بقدمه على مؤخرته وهو يقول له: كلب ابن الكلب.

وثمة حالة اخرى شاهدتها بعيني في احد سجون الانضباط العسكري،اذا أدخل المكلف بتعذيبنا انبوبا جافا في قعر التواليت واخرجه وهو يتقطر منه البراز الثقيل واوما لنا الى صبة كونكريتية لا تستوعب مئة شخص ونحن نجاوز عددنا الخمسمائة وقال: اعد من الواحد الى ثلاثة والذي اراه خارج المنصة اضربه على رأسه بهذه الانبوبة (الصوندة). انهى حساب الواحد الى الثلاثة وبقي عدد كبير خارج هذه المنصة، فانهال عليهم بالضرب بهذه العصا الملغمطة وهي اشبه بعصا (ابو العطا) كما في المثل البغدادي مما استدعى بكاء عدد من الموقوفين لاسباب ليست سياسية وانما قد يكون نسي هويته في البيت، اوتجاوز على اجازته بيوم وهكذا. وهذا الوجه لا استطيع نسيانه،وجه عكر، يتكرر يوميا في كوابيسنا، اما هذه الايام فلا ادري اين ذهب. ربما يملك الملايين!

استمرت الجولة في السجن الاحمر، لأكثر من ساعتين من العذاب والذكريات المرة.

حسن حلبجي

هذا المواطن كان شاهدا في القاعة رقم (١) على الاضراب الذي قام به السجناء. ومن المصادفات الجميلة ان هذا الرجل حي وهو صاحب مكتبة الان. ربما بقي وحده من مجموعة قتلوا عمدا، تحت التعذيب، او بسبب الاعدام او ماشابه.

احمد صناعي

هذا البطل من الابطال الذين لم يتنازلوا عن ولائهم وايمانهم، كتب في غرفة السجن عبارة مازالت باقية الى اليوم: الحياة الم، وبداية الحياة الالم. اعدم في زنزانته ولم يتخل عن مبادئه وعن احلام شعبه بل كان شامخا قويا لا يعرف الضعف طريقا اليه.

غرف الاطفال

يأتون بالاطفال لهذه الغرف، ويكبرو اعمارهم ليحصلوا على شرعية سجنهم، كلهم ماتوا قبل ان يعرفوا ما هي الحياة، ولماذا سجنوا!

عطا حاجي احمد

كان عطا ينهض من نومه كل صباح وهو ينشد انشودة وطنية يمجد فيها الانسانية ويسخر من العبودية والديكتاتورية. كان قويا صامدا لايأبه بالموت. وقبل ان يعدم كان ينشد نشيده المفضل:كس نه لى كرد مردوه، كرد زندوة. لكنهم اعدموه، وبقيت ذكراه تعطر الافواه.

هناك مشاهد ومشاهد وشهادات وشهادات في هذا السجن الغريب وبامكان المرء ان يكتب كتابا عنه ليكون شاهدا على الجريمة، ولكن لا ادري هل فكر المسؤولون الكرد بذلك؟

دخلنا انا وزميلتي اخلاص في كهف او هكذا صمم يقع في بداية السجن شاهدنا كهفا مزججا وكان هذا شيئا غير مالوف. ولكن المألوف فيه هو وجود ١٨٢٠٠ زجاجة مصنوعة بشكل هندسي تؤطر الكهف، انها عدد ضحايا الانفال، وليس هذا فحسب وانما هنالك ٤٥٠٠ مصباح وهي عدد القرى التي هدمت.

كان تصميما متناغما وحجم الماساة وقيل لنا ان السيدة زوجة رئيس الجمهورية هي التي اشرفت على تصميم هذا الكهف.

وحدثنا ملا ريبازقائلا: في ١٩٩١/٣/٧ اقتحمت الجماهير هذا السجن ولم يكن معها غير اربعين من رجال البيش مركة، اذ تجمع خمسمئة مسؤول بعثي في هذا المكان واراد النظام تحريرهم بطائرات الهليكوبتر، الا انه لم ينجح بل فشل امام اصرار الجماهير واستمر القتال ليلة ويوما وتحرر السجن وكان فيه مائة وعشرون سجين اخرهم كان دكتور كاميران وهو حي الان وموجود في السليمانية، في يوم ١٩٩١/٣/٨ مازال الحديث لريباز وهو من رجال البيش مركة القدامى وهو الان اعلامي: اوصلنا اخوتنا الجنود الى السيطرات الرئيسية واعفينا عن الكثيرين، للبرهنة عن حسن نياتنا لان لاخلاف لنا مع الاخوة العرب بل خلافنا مع صدام واعوانه وقبل ان نغادر السجن هذا اوقفتني زميلتي اخلاص ووضعت في يدي وردة قطفتها من حديقة اقيمت بعد تحرير السجن وهي تقول: كي ننسى المأساة. كانت يدها الرقيقة تعيد الي الحياة، بأسمى معانيها وفي الاستعلامات كتبت في دفتر الزيارة مايأتي:

لولا هؤلاء الشهداء لما كانت السليمانية بهذا الحال.

غرفة مدير الامن وقد تحولت الى عش للحمام